يَدٌ حتى الآن ولو حاول احد ان يحفر فيها قليلًا لامكنهُ ان يقف على آثار جليلة من شأنها ان تقوده الى معرفة الابنية العجيبة الباقية حتى الآن (١

وقد نشّطت هؤلاء الرهبان وحرّضتهم على مواصلة عملهم اذ اخذوا يجمعون هذه العاديات ولا سيّما الكتابات وقد اظهروا لي في ذلك رغبتهم ولكنّهم لا يستطيعون دائمًا ان يقنعوا الفلّاحين بصيانة هذه الكنوز فيتلف منها كثير

وخلاصة القول انني طول ذلك النهار جُلتُ في تلك الامكنة وعاينت من اعلاها اكثر من عشرين قرية تُرى في الجبال حولها. وعند المساء عطفتُ راجعًا الى الدير. وبينما كنتُ اتباحثُ مع هؤلاء الرهبان عمّا رأيتهُ من الآثار وابديتُ لهم اسفي بانّ هذه المباني العجيبة سوف تصبح بعد قليل في حالة لا يكاد يُستدلُّ بها على غير وجودها فقط مع انّ رجالًا من العلماء الذين زاروا آثار سوريّة وبلاد اخرى قد اكّدوا لي انهم لم يشاهدوا حتى اليوم ابنية افخم منها اللهمّ الّا تدمر وبعلبك (٢

وعلى ظننا انّ بقيّة الآثار سوف تنطمس مع الأيام لانّ الاهلين يتواردون الى جوار دير مار يوحنّا فيسكنون في اراضيه وبذلك يتلف كثير من الآثار القديمة

ولمّا عدنا المساء الى الدير اكلنا اكلةً مشبعة وقضينا ليلة هنيئة ليمكننا ان نواصل سفرنا في غدٍ . . .

آثار ثيبة والصعيد

المكتشفة في هذه الاعوام الاخيرة

نظر للاب الكسيس مالون مدرّس اللغة القبطيّة في المكتب الشرقيّ (تابع)

بعد النظر العمومي في ثيبة ومبانيها العجيبة يجمل بنا ان نستقرئ هذه الامكنة ونبيّن ما وجد فيها من الآثار في هذه الاعوام الاخيرة ونباشر بالكرنك لانّ جلّ مساعي ادارة العاديّات قد انصرفت الى هذا المكان تحت نظارة المهندس والاثري الشهير المسيو لغران (Legrain)

١) هذا قول يقين فلو تولى احد حينئذٍ حفر تلك الامكنة لوجد عاديّات كثيرة صارت اليوم اثرًا بعد عين ٢) هذا عين الصواب. ليس في سورية (بحصر القول) ما يفوق آثار دير القلمة الّا آثار بعلبك

ترميم ردهة العواميد

ليس بين عاديات مصر ومآثرها القديمة بناء اشهر وافخر واحقّ بالاعتبار من ردهة العواميد (hypostyle) التي تُرى في هيكل عمُّون. وقد شادها الفرعون رعمسيس الثاني وجعلها آيةً من حسن الهندسة فقياسها من داخل الجدران ١٠٣ امتار عرضاً في ٥٢ متراً عمقاً. وسقفها يدعمهُ ١٣٤ عموداً جُعلت على ١٦ سوقاً والسوقان الاوسطان اعلى من سواها. والاعمدة المنتصبة على جوانب المكان هي نصفيَّة يبلغ قطرها مترين وعلوّها ١٤ متراً. امّا الاعمدة القائمة في وسط الردهة فقطرها ثلاثة امتار و٥٧ سنتمتراً ودائرتها ١٠ امتار وعلوّها ٢٤ م

على انهُ في ٣ تشرين الاول من السنة ١٨٩٩ قد أُصيبت هذه الردهة بنكبة كادت تتلفها وتخفي عليها. وذلك انَّ مياه النيل كانت قد نضبت في اسافلها وبلغت حتى اساسها فانخسفت الارض قليلاً وبانخسافها سقط احد عشر عموداً من الجهة الشماليَّة وأُصيب غيرها باضرار ذات شأن. وكان ثلاثة منها متداعيةً على وشك الهبوط وكان يُخاف ان يكون هبوطها مدعاةً لخراب كل هذه الردهة وسواريها العجيبة. وتقوّضها البهيَّة (راجع المشرق ٤: ٣٣٩) فأسرع النظَّار واعلموا الحكومة بالواقع. فاظهر اصحاب الامر كل همَّة لاستدراك الخلل وتصدَّوا لاعمال الخراب

ومن ثمَّ جاء المهندسون مع مئين من الفعلة وباشروا بنقل العواميد الساقطة مع قطعها المكسَّرة بعد تحقيق كل قطعة وجلوها في مخزن موقَّت ثمَّ اخربوا الاعمدة المتداعية وضمُّوها الى اخواتها. وهذا العمل التمهيديّ لم يستغرق اقلّ من شغل سنتين ولمَّا كانت السنة ١٩٠٢ عزم المهندسون على اتخاذ اساس جديد غاية في المتانة يقوى على حمل العواميد الساقطة. فنجز العمل في اواخر تلك السنة. وفي ١٧ تشرين الثاني منها نُقلت قاعدة العمود الاول من المستودع فأُعيدت الى محلها كما اقامها بُناة الفرعون رعمسيس الثاني. وهكذا رجعت بعض العواميد شيئاً فشيئاً بالتوالي الى مقامها فكان مجمل ما نُقل من المستودع في ٢٠ آذار من السنة ١٩٠٣ بالغاً ٦,٠٠٠ كيلوغرام وتُمّمت كلها من جديد فكان اذ ذاك علوّ الاعمدة ٦ امتار. ثم عاد العملة الى الشغل في فصل الشتاء وانجزوا ابتناء الاعمدة الى رؤوس اكلَّتها في نيسان من السنة المنصرمة. وشغل الترميم قائمٌ اليوم على ساق والامل وطيد بان هذا الاثر الجليل يعود الى رونقهِ القديم في السنة المقبلة

ومما يجدر بنا ذكره انَّ المهندسين الحديثين جروا في نصب الاعمدة على طريقة اسلافهم من قدماء المصريين لما اقاموا هذه السواري لاوَّل مرَّة ومن ثمَّ لم يقيسوا الصقالات والاخشاب لرفعها بل كانوا يبنون كل الاعمدة في وقت واحد واذا زاد علوّها رفعوا سطح الحضيض بتربة ينقلونها من الخارج حتى انَّ القمة كانوا يشتغلون دائمًا وهم وقوف على الارض ويبقى القسم المرمَّم غائصًا في التربة . والزوَّار اذا دخلوا هذه الردهة لا يرون شيئًا من عمدها الَّا رؤوسها حيث يشتغل العملة . واذا تمَّ الترميم ينزعون التربة وينقلونها الى الخارج فحينئذٍ تظهر هذه التحفة الهندسيَّة بكل جمالها كما كانت سابقًا . فترى انَّ هذه الطريقة البنائيَّة سهلة جدًّا وغاية في الاقتصاد عند بناء اعمدة كثيرة فضلًا عن انها لا تعرّض للخطر ما نجز بناؤهُ لانَّ التربة المنقولة حولهُ تصونهُ من كل اذًى . وانتهز المهندسون هذه الفرصة لاجراء حفريَّات أُخرى فنقلوا التربة المحفورة الى مكان البناء وبذلك بلغوا غايتين في وقت واحد

اعظم الاكتشافات خطرًا

وتَّجه العلماء نظرهم خصوصًا الى جنوبي الهيكل الكبير في المطاف الفخيم المزدان بأربع مداخل غاية في الأبهة والرونق والجامع بين هيكل عمون وهيكل الإلهة «مُوت» وكانوا باشروا بهذه الحفريَّات منذ السنة ١٩٠١ ولم ينتهوا منها حتى الآن . امَّا الآثار المكتشفة هناك فلا يضمُّها احصاء كالابنية والكتابات والأنصبة والآنية والنقوش المنقورة والابواب والتماثيل المختلفة الهيئة والقياس . والبعض من هذه التماثيل تجدي التاريخ المصريّ فوائد عظيمة

فمن ذلك تمثالان عاديَّان من الرخام المحبَّب يمثلان الفرعون تحوتمس الثالث وكانا في غابر الزمان قد نُصبا في مقدَّمة المدخل السابع وأُخذا على عهد المملكة الفارسيَّة . ومنها قاعدة لمسلَّة كانت بقرب التمثالين فهُدمت في الوقت ذاتهِ ثم نُقلت قِطَعها لابنية اخرى . ومن ينظر الى قاعدتها المكتشفة آخرًا يتحقَّق انَّ هذه المسلَّة كانت اكبر من المسلَّ المعروفة حتى يومنا . واعظم مسلَّة تُعرف الآن في مصر طولها ٢٩ مترًا ونصف وعلوّ قاعدتها مترانِ و٤٦ سنتمترًا . اما قاعدة المسلَّة الجديدة فانَّ ارتفاعها ٣ م و١٥ س فتدعي النسبة ان يكون علوّ المسلَّة ٣٧ مترًا اعني اطول بخمسة امتار من مسلَّة كنيسة مار يوحنا اللاترانيَّة التي اقامها البابا سكتوس الخامس وهي ايضًا من اعمال تحوتمس الثالث .

ولعلَّ السلَّتين شقيقتان اقيمت الواحدة بازاء الاخرى كمألوف عادة الفراعنة في ابتناء السلَّات وما لا يُنكر انَّ السلَّة الثانية القائمة امام المدخل السابع لا يُعرف لها اثر في مصر فتكون نُقلت الى بلد آخر

وقد استُخرج من هذه الحفريَّات اثنا عشر تمثالاً آخر في المكان عينهِ تقريباً وبعض هذه التماثيل راقيـة الى السلالة الثامنة عشرة وبعضهـا يرقى الى ما وراء ذلك حتى السلالتين الثالثة عشرة والثانية عشرة . وبين تمـاثيل السلالة الثالثة عشرة تمثال احد الفراعنة الذي لم يعرف من قبل الَّا نصف اسمهِ . وهو اوسيرتازن دعوه الان باوسيرتازن الرابع موقَّتاً . وابدع هذه التماثيل تمثال احد المهندسين من اهل الكرنك اسمهُ امنوثيس ابن هابوي كان على عهد الدولة الثامنة عشرة . قال المسيو مسپيرو : هذا التمثال احدى عجائب المصنوعات التي خلَّفتها لنا ثيبـة على عهد المملكة المستحدثة . وصفة هيئتهِ انهُ يُرى جالساً ويداه على ركبتيهِ تدلُّ تقاطيع وجههِ على انهُ شيخ مسنّ (وهو قد عاش ٩٠ سنة) وقد اصاب انفهُ بعض التحطيم . ومما كُتب على ازاره ما تعريبهُ : « يقول المير المقلَّد بقلادة فرعون مصر السفلى الكاتب الملكي وكاتب الجند امنوثيس بن هابوي قداتيتك يا عمون لاسترحم بهذه الهدايا نفسك التي هي في هيكلك هذا ... يا اله كل المخلوقات ... اني رجلٌ بارٌ لم اجترح اثماً ولم استخر الفقير للاشغال واذا استدعيت احداً امامي سمت تكلامهِ ولا ارضى بالكذب لاخدع احداً في مالهِ وقد استحقيت بفضلي ما يؤديه الناس لي من الاكرام » . فمن هذا ترى اعتبار قدماء المصريين لفضيلة العدل والانصاف

واعلم انَّ الابنية التي ترى اليوم في الكرنك لا يتجاوز عهدها السلالة الثـامنة عشرة الَّا انَّ العلماء كانوا يرتأون انهُ سبقتها قبل ذلك العهد ابنية أُخرى اقدم منها وان لم يمكنهم اثبات ذلك بالدليل المقنع . الَّا انَّ حفريات السنة ١٩٠٢ ازالت كل شبهة في ذلك ولم تبقِ في الامر شكًّا لانَّ بعض الآثار المكتشفة ترقى الى السلالة الثانية عشرة لا بل الى الحادية عشرة وهي اول دولة جعلت مركزها في ثيبة . ومما اكتُشف على عمق مترين فقط سواري وابواب وكل اقسام معبد من ذلك العهد بحيث يمكن الآن اعادة رسمهِ تمـاماً على قول المسيو مسپيرو . ووُجدت ايضاً في الحفريَّات عينها خزفيَّات غير متقنة وقطع صوَّانيَّة منحوتة قديمة الصُّنع بحيث يسوغ القول بان ثيبة ليست احدث زمناً من ابيدوس ومنف وان دولاً مختلفة توالت عليها بتمدنها منذ القديم

هذا ولمَّا رأت ادارة الحفريَّات ما وقفت عليهِ من الآثار في سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ عادت في السنة الماضية الى متابعة عملها فتوفَّقت الى اكتشافات عظيمة لم يجرِ مثلها منذ عهد ماريت باشا . وقد حدث ذلك على يد المسيو لغران الذي اخبر بذلك في احدى جلسات المكتب العلميّ المصريّ في ٧ تشرين الثاني ١٩٠٤ قال : « قد وجدنا في مخبأة واحدة ٤٥٠ تمثالاً من اقيسة شتَّى منها جبَّاريَّة ومنها صغيرة دقيقة وهي مصنوعة بعضها من الرخام الصوَّاني وبعضها من الحجر الكلسيّ وغيرها من الحجر البركاني او الحجر الرمليّ او الخشب المستحجر او العاج او الشبهان وغير ذلك . ووقفنا على عشرة تصاوير لابي الهول من الرخام الصوَّاني الاسود او الرخام الابيض أو الحجر الكلسي . ثم خمسة حيوانات مقدَّسة منها ذات رؤوس كلابيَّة الهيئة ومنها بقر وكباش من الرخام الوردي والرخام الابيض الشفَّاف ومن الحجر الكلسي والرمليّ . ثمَّ اربعة عيون لتماثيل عاديَّة طول العين ٣٠ سنتمترًا من الشبه والعاج والحجر الاسود البرَّاق . ثمَّ خمسة عشر نصبًا من اصناف الرخام الاحمر والاسود والاخضر والابيض الشفَّاف ومن الحجر الرمليّ . ثمَّ ستَّة آنية من الرخام الاسود والابيض الشفَّاف وحجر مغنيسيا . ثمَّ مذبحين من الرخام الاسود . وناووسين صغيرين مذهَّبين . ثمَّ تمثالاً مدفنيًّا للفرعون امينوفيس الثالث . ثمَّ رؤوسًا كانوبيَّة ثمَّ ثلاث مسلَّات الواحدة من الرخام الوردي والاخريان من الحجر البركاني ثمَّ قطعًا عديدة من عروق الزمرد صيغت على زوايا مختلفة وصُقلت من جانب واحد وجُمع بينها بمسامير من البرنز . ثم قطعة بيكار ذات اربعين درجة من الصوَّان الصقيل . ثم خاتمًا من ذهب لنفريتي زوجة امينوفيس الرابع مع شذور ذهبيَّة . ثمَّ ثلث قطع من البرنز المنقوش . ثمَّ قطعًا من الكتابات الهيروغليفيَّة الكبيرة . ثمَّ ٨٠٠٠ تمثال او تمثيل للاله اوزيريس من الشبه المطليّ بالذهب . وطول احد هذه التماثيل يبلغ مترًا و ٣٠ س هذا ما وُجد في هذه المخبأة وحتى الآن لم يستنفدوا مظانَّها

وان سأل السائل ما معنى اجتماع كل هذه الكنوز في محلّ واحد ولاي سبب جُعلت في هذا المكان . اجبنا انَّ لاماميّ الاثريين المصريين في تعليل ذلك شرحين مختلفين فنعرضهما للقارئ كما رواهما العلامتان . قال المسيو لغران : « على ظني انَّ تلك الكنوز قد اودعت في هذا الكهف مدَّة احدى الحروب وقت حصار مدينة ثيبة في اواخر عهدها ونُقلت اليهِ لئلا تقع في يد العدوّ فتصبح غنيمةً باردة . ومما يدلُّ على ذلك انَّ هذه

الكنوز لم تجعل على نظام وترتيب بل جُعل بعضها فوق بعض دون اهتمام بهندامها . الّا انهم كانوا خصّصوا بعض زوايا الخبأة ببعض القطع فجعلوا زاوية للتماثيل الكبيرة وزاوية للتماثيل الشبهيّة المطليّة بالذهب الّا ان في مجموعها اختلاطاً كبيراً . وهذا دليل على انّ هذه المطالب اودعت في المكان دفعة واحدة دون اشارة الى عجلةٍ زائدة اذ لا ترى شيئاً محطّماً

امّا المسيو ماسپيرو فيرتأي انّ هذا المستودع انّما اصطنعهُ كهنة المصريين نحو القرن الثالث للمسيح ليخففوا زينة الهيكل وحليّهُ المتراكمة لكثرة ما كان يتوالى كل يوم من التقادم الجديدة الى هيكل عمون

وعلى كل حال فانّ في هذه الدفينة مجموع زينة ذاك الهيكل الشهير منذ انشائهِ الى عهد البطالسة . وفي هذه الكنوز ثروة تحيّر الالباب الّا انّ في فوائدها التاريخيّة ما هو اعظم خطراً . كيف لا وترى في هذه المئين من التماثيل المنقوشة منذ السلالة الثانية اي نحو ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح الى ايّام البطالسة اي نحو السنة ٢٠٠ قبل الميلاد سلسلة متلاحمة من كلّ مشاهير مصر القديمة كفراعنتها وقوّادها وسادتها وعمّالها . قال المسيو مسپيرو في خطبتهِ امام جمعيّة الفنون والاداب في باريس (١٤ ت ١ ١٩٠٤) : « بين هذه الدُمى المكتشفة ما يرتقي بعضهُ الى تاريخ مصر الاوّل (٣٠٠٠ سنة قبل المسيح) وبعضها من الطور المعروف بالمنفيّ (اي في ايّام الدول الاوّليّة) والطور الثيبي . تكنّ معظمها يتراوح بين السلالة العشرين وعهد الفرس وكلها مشحونة بالكتابات الموضحة لامور عديدة مجهولة من تاريخ كهنة الاله عمون وكواهنهِ . واكثرها محكم الصنع متقن العمل والبعض منها طُرف عجيبة تجاري بحسنها ابدع المقاطيع المعروفة حتى الآن » . ولو اردنا استقراء كل الاعيان والذوات الذين اكتُشفت تماثيلهم مباشرةً بالقراعنة الى اشخاص مشتملين بالشملة اليونانيّة ومكلّلين بالغار لطال بنا الكلام . وحسبُنا ان نذكر فقط تمثال احد الملوك المذكورين في التوراة وهو الملك ترهاقة الذي ساعد العبرانيين على ردّ غارة ملوك بابل (سفر الملوك الرابع ١٩ : ٩ ونبوّة اشعيا ٣٧ : ٩) وتمثالهُ بديع المنظر مصنوع من البرنز وعلى رأسهِ خوذة مذهّبة . ومن ثم نكتفي الآن بالعرض الوجيز لا سيّما ان تنظيم هذه الآثار وقراءة كتاباتها العديدة يقتضي زمناً طويلاً

(تتمتها في عدد اخر)